أفريقيا قارة الإسلام

"انتشار الإسلام في أفريقيا في القرن العشرين"

د.حورية توفيق مجاهد

مقدمة:

أطلق على القرن التاسع عشر قرن التبشير؛ حيث إن بدايات القرون عادة ما توحي ببداية عهد جديد، وكان تأثيرها في ذلك القرن على التبشير أن أنشئت ونشطت العديد من الجمعيات التبشيرية، خاصة البروتستانتية، التي أخذت المهمة التبشيرية بجدية في محاولة لنشر الإنجيل في أنحاء العالم، وكان الاهتمام الأساسي للإصلاحية الدينية البروتستانتية في أوروبا. وقد بدأ في النصف الثاني من تسعينيات القرن الثامن عشر -أي قبل القرن الجديد- إنشاء العديد من الجمعيات التبشيرية لنشر نشاطها في كافة أنحاء العالم.

أما في القرن العشرين فقد عُرفت أفريقيا في مجال دراسة الأديان بقارة الإسلام؛ حيث لم تنتشر المسيحية وحدها -في ظل الوجود الاستعماري الذي سيطر على القارة بأكملها- بل إن الإسلام انتشر بمعدلات أكبر كثيرًا من تلك التي عرفتها المسيحية في القارة، على الرغم من الجهود المكثفة للتبشير من جانب النظم الاستعمارية.

ولقد مر الإسلام في انتشاره بالقارة الأفريقية بعدة مراحل، وضح في أولها الدور الكبير للهجرات العربية والفتوحات الإسلامية والتوسع فيها، ولكن في المراحل التالية انتقلت الدعوة وانتشار الإسلام إلى أيدي الشعوب الأفريقية الأخرى كالبربر والزنوج، خاصة السودانيين في منطقة الساحل (ساحل الصحراء).

وقد ظهرت في أفريقيا العديد من الزعامات الدينية- السياسية (مثل عثمان دان فوديو، وماء العينين القلقمي، والسنوسي، والمهدي، والملا عبد الله حسن وغيرهم)، وجمع كل منهم بين الدعوة والجهاد في سبيل الإسلام ورفع رايته، ليس في منطقته المحلية فحسب؛ بل توسع نطاق الدعوة وتوسعت أرجاء الدولة التي قامت عليها باسم الإسلام.

ومثلت مصر المدخل الشرقي للقارة الذي جاء عبره الإسلام للقارة، خاصة غربها، كما سبق أن جاءت المسيحية من قبل في القرن الأول الميلادي. فقد دخل الإسلام مصر وذلك في سنة ٦٤٠م عن طريق سيناء وبرزخ السويس؛ ومنه تدفقت الجماعات الإسلامية والقبائل العربية وعلى رأسها بني هلال إلى شمال أفريقيا، ومنها انتشر للقارة.

ومن الملاحظ أنه على الرغم من أن الفتوح العربية أسهمت كثيرًا في انتشار الدين الإسلامي؛ حيث دخل الإسلام مع الجيوش العربية إلى البلاد التي تم فتحها، إلا أن الإسلام أساسًا انتشر سلميًا وليس بحد السيف.

فالانتشار الفعلي للإسلام في أفريقيا وزيادة معدله بدت واضحة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر. ومن أهم ما يذكر في هذا الشأن أن القوة السياسية هي التي فرضت بالحرب، أما الإسلام فقد انتشر سلميًا وتغلغل بين الشعوب الأفريقية.

وقد عبر عن هذا بوضوح الكونت دي كاستري بقوله: "إن الإسلام لم يكن له دعاة متخصصون للقيام بالدعوة إليه وتعليم مبادئه كما في المسيحية، ولو أنه كان للإسلام أناس قوامون لسهل علينا معرفة السبب في انتشاره السريع، فقد شاهدنا الملك شارلمان يستصحب معه على الدوام في حروبه ركبًا من القسس والرهبان ليباشروا فتح الضمائر والقلوب بعد أن يكون هو قد باشر فتح المدن والأقاليم بجيوشه التي يصلى بها الأمم حربًا لا هوادة فيها، ولكنا لا

نعلم للإسلام مجمعًا دينيًا يتبع الجيوش فلم يكـره أحـد عليـه بالسـيف ولا باللسان".

وعلاقة الإسلام بأفريقيا ترجع إلى بداية ظهور الإسـلام فـي الجزيـرة العربية في عهد الرسول ρ؛ حيث بعث بهجرتين إلى بلاد الحبشة -أكسـوم في ذلك الوقت- على أساس خوفه على متبعي الدين الإسلامي الجـدد مـن بطش قريش، وسعيًا للأمن حيث عرف عن ملك الحبشة العدل، وذلك إلى أن تقوى الدعوة الإسلامية.

ويفخر الأفريقيون بأن أول هجرة للمسلمين -تـدعيمًا للإسـلام- كانـت لأفريقيا بالذات، تلك الهجرة التي سبقت الهجرة النبوية للمدينة وتأسيس الدولة الإسلامية بها.

ولكن يبدو أن تأثير هاتين الهجرتين كان محدودًا ومحليًا؛ حيث لم ينتشـر الإسلام بحق في أفريقيا عامة إلا عندما دخل القارة من بابها الشمالي الشرقي إلى مصر بصحبة الجيش العربي بقيادة عمرو بن العاص (٢٠هـ/٦٤٠م).

ومن الملاحظ بالنسبة لانتشار الإسلام في أفريقيا إنه، وإن بـدأ فـي أول الأمر على يد العرب النازحين من الجزيرة العربيـة؛ إلا أن رايـة الإسـلام حملها منهم في المرحلة التالية الأفريقيون أنفسهم في المناطق التي احتكوا فيها بهم وقاموا بالدعوة للإسلام ونشره جنوبًا، والأمر ينطبق أيضًا علـى شـرق أفريقيا.

وقد لعب التجار دورًا جوهريًا في هذا المجال، كما قامت حركات دينيـة، بل حروب دينية باسم الإسلام بزعامة أفريقيين مسلمين أصـبحوا مـن أهـم دعاته. وأقاموا دولًا إسلامية على غرار الدولة الإسلامية الأولى.

إن الظاهرة -الجديرة بالتسجيل- التي تسود هذه القارة وتجعلهـا جـديرة باسم "قارة الإسلام" هي الزيادة السريعة والمطردة للمسلمين بهـا، فالإسـلام

يمثل قوة زاحفة من شمال القارة إلى جنوبها بصورة لا يعرفها أي دين آخر -في العصر الحالي- سواه، كما لا يعرفها الإسلام نفسه حاليًا في أية قارة أخرى. فقد تراجع الإسلام في أوروبا -التي لا يزيد عدد المسلمين بها عن ٢٠ مليون بما فيها (الاتحاد السوفيتي)، كما تقلص بالمثل في شمال آسيا، أما في جنوب تلك القارة فهو لا يزداد بأكثر من الزيادة الطبيعية.

ومن ناحية أخرى؛ فإن الظاهرة التي تحير الباحثين الغربيين؛ والتي بحثت في مؤتمر برلين السري في بداية القرن العشرين والخاص بالتبشير المسيحي في القارة الأفريقية وما تبعه من مؤتمرات؛ هي الانتشار السريع للإسلام في القارة؛ على أساس أن الإسلام ليس فقط منتشرًا -واستطاع أن يستقطب نحو نصف السكان(١)- ولكنه أيضًا سريع الانتشار ويمثل قوة ديناميكية زاحفة، وذلك بتغلغله السريع في المناطق التي ما زالت تنتشر فيها المعتقدات التقليدية والتي يكرس التبشير المسيحي جهوده فيها.

وعليه؛ فالثقل النسبي للمسلمين من الناحية العددية بنسبة إلى مجموع السكان في أفريقيا أكثر منه في أية قارة سواها. فعلى الرغم من أن مسلمي آسيا يمثلون نحو أربعة أخماس مسلمي العالم، إلا أن نسبتهم لمجموع سكان آسيا لا تزيد عن ٢٠%. ومن هنا يظل الثقل النسبي لمسلمي أفريقيا أكبر منه في آسيا.

ولقد قدر عدد المسلمين في أفريقيا في عام ١٩٣١ بنحو ٤٠ مليون نسمة، بينما قدر بعدها بعشرين عامًا في عام ١٩٥١ بنحو ٨٥- ٩٠ مليونًا، (أي أن عدد المسلمين تزايد بأكثر من الضعف في عشرين عامًا)، بينما يقدر عددهم حاليًا بنحو ٢٤٢ مليون تقريبًا، وتلك الزيادة المطردة من الواضح أنها تزيد عن معدل النمو الطبيعي حيث تصل نسبتها إلى ٦,٨٧% سنويًا في المتوسط وهو يزيد عن ضعف متوسط معدل صافي النمو في أفريقيا.

وهذه الزيادة العددية وإن كانت مهمة إلا أن الزيادة النسبية اكثر أهمية في هذه القارة -كما أثبتت ذلك الدراسات في الدول الغربية في أوائل الستينيات، حيث قدر أن من بين كل عشرة أفراد يعتنقون دينًا سماويًا عالميًا، فإن تسعةً منهم يعتنقون الإسلام و يعتنق واحد فقط المسيحية(٢)؛ أي أن الإقبال على الدخول في الدين الإسلامي من جانب من يتبعون الديانات الأفريقية التقليدية المتوارثة يعتبر إقبالًا ملحوظًا يشد الانتباه.

إلا أن القول بأن أفريقيا "قارة الإسلام" وأن الإسلام انتشر بها كما أنه مستمر في الانتشار المطرد لا يعني أنه منتشر وبنفس النسبة في كل أجزاء هذه القارة الواسعة التي تصل مساحتها إلى ما يزيد عن ٣٠ مليون كيلو متر مربع مكونة كتلة أرضية تزيد على مساحة الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية والشرقية والصين مجتمعة، وممثلة لنحو خمس مساحة العالم، وتضم ٥٤ دولة مستقلة تمثل ما يقرب من ثلث الدول الأعضاء بالأمم المتحدة.

حقيقة أن الإسلام قد وصل إلى كافة أجزاء القارة: فما من دولة ألا ويوجد بها مسلمون إما كأكثرية أو كأقلية قوية، أو حتى كأقلية ضئيلة، ولكن هناك مناطق يسودها الإسلام وهي تلك الواقعة شمال خط ١٠° شمالًا الذي يطلق عليه البعض اسم "خط الإسلام"، كما إنها تتمثل أيضًا في منطقة القرن الأفريقي- منطقة الصومال وبعض الأجزاء المجاورة في إثيوبيا وكينيا وكذلك في المناطق الساحلية في شرق أفريقيا.

ويلاحظ عامة أن الدول المستعمرة السابقة لم تعط صورةً صحيحة عن توزيع الأديان في القارة الأفريقية، بل حاولت في معظم الأحوال إعطاء صورة منقوصة عن عدد المسلمين تأكيدًا لعدم أهميتهم النسبية والعكس بالنسبة للمسيحيين، ولا ننسى الرابطة التاريخية والعضوية بين الاستعمار

الغربي والتبشير المسيحي من جانب من جاءوا من تلك الدول الغربية، وما زال هذا التقليد جاريًا في كثير من المصادر الغربية بعد الاستقلال، ومن جانب آخر فان كثيرًا من بيانات الإرساليات التبشيرية والكنائس العالمية مبالغ فيها من حيث زيادة عدد المسلمين؛ حتى يمكنها إبراز مدى جهودها وضرورة دعمها في مواجهة خطر الإسلام في رأيها، ونفس الفكرة تنطبق على تقديرات المصادر الإسلامية عامة.

وبنفس المثل؛ فإن الدول المستقلة إذا كانت مسلمة يحرص زعماؤها على التقليل من أعداد غير المسلمين تأكيدًا لعدم أهميتهم النسبية، أما إذا كان المسلمون يمثلون أقلية في الدولة فهناك محاولات لإظهارها بصورة أقل؛ تأكيدًا لضعفهم النسبي. ومن ثم فمن البديهي في ضوء تلك الظروف ألا تكون هناك أرقام دقيقة بل وأن تتضارب المصادر المختلفة. يضاف إلى هذا أن الكثير من الحكومات الأفريقية -في محاولة لعدم إبراز الاختلافات الدينية والجنسية والعرقية وغيرها- تغفل في تقديراتها الدقيقة وفى الإحصاءات -إن وجدت- تنويع السكان على تلك الأسس، مما يجعل التقديرات الرسمية أو الإحصاءات الرسمية غير متواجدة عن الأديان بالدقة اللازمة. ومما يزيد الأمر صعوبة في شأن التقديرات والبيانات في أفريقيا هو أنه عادة ما تستخدم عند المقارنة مصادر لا تتفق في سنة الأساس، أو حتى تتقارب فيها، مما يجعل النتائج لا تتسم أيضًا بالدقة.

أولًا- المسيحية:

وهي أقدم الديانات العالمية الكبرى المكتوبة في أفريقيا؛ حيث دخلت القارة في القرن الأول الميلادي، ومع هذا فهي أقل انتشارًا من الإسلام ومن الديانات التقليدية، في أفريقيا، حيث يقدر عدد المسيحيين بنحو ١١% فقط من مجموع السكان(٣). وقد ظلت ظاهرة عرضية ساحلية خاصة في غرب

أفريقيا. لفترة طويلة فعلى الرغم من نجاحها الظاهر إلا أن المسيحية ظلت حركة أقلية في معظم أجزاء القارة على الرغم من أنها تتضمن القلة المتعلمة غالبًا. وإن كان ثمة جهود مكثفة ومنظمة تنظيمًا دقيقًا لنشر المسيحية قد جعلت سعيها الأساسي هو أن تتصر ٥٠% من الأفريقيين بنهاية القرن العشرين، وساعدها في ذلك ظروف الجفاف التي مرت بها الدول الأفريقية قي الثمانينيات والتي فتحت المجال واسعًا للنشاط التبشيري من خلف المساعدات الإنسانية المباشرة.

وترجع جذور المسيحية في أفريقيا إلى القرن الأول الميلادي، حيث دخلتها عبر المدن الخمس الغربية في ليبيا ومصر، ومنها انتشرت إلى شمال أفريقيا، ثم إلى جنوب مصر في النوبة ومروى وكوش.

غير أن تغلغل المسيحية وانتشارها في أفريقيا عامة لم يتم إلا بعد ذلك بقرون طويلة، على يد المبشرين الغربيين الذين سبقوا الاستعمار الغربي في القرن التاسع عشر ليمهدوا له، ثم عملوا تحت الحماية الاستعمارية مما أسفر عن تأثير مزدوج؛ حيث أسهم من جهة في نشر المسيحية، ولكن أدى من جهة أخرى إلي إعاقة انتشارها نظرًا لارتباطها بالاستعمار، الأمر الذي شجع الاتجاه إلى الإسلام. وإذا كان القرن التاسع عشر يطلق عليه –من جانب المهتمين بدراسة المسيحية في أفريقيا– قرن التبشير في القارة الأفريقية، فإن القرن العشرين أطلق عليه –من منظور مسيحي– قرن الاستقلال المسيحي في القارة؛ حيث انتشرت الكنائس الأفريقية المستقلة[٤] لتصل إلى أكثر من ستة آلاف وخمسمائة كنيسة بنهاية القرن.

وقد ارتبط التبشير المسيحي من جانب المبشرين الغربيين بالنظرة الاستعلائية، حيث لم ير المبشرون في الأفريقيين سوى "قبائل متوحشة غارقة في الخرافات الكافرة". ومن ثم أرادوا إدخال العقيدة المسيحية "للقارة

المظلمة". ومنذ البداية لم تكن نظرتهم للأفريقيين على انهم إخوان في الإنسانية وأن الهدف هو إدخالهم في الدين العالمي؛ وإنما كانت نظرة دونية حيثً كان تفكيرهم -كما اقترح بعض رواد التبشير- هو اتخاذ أبنائهم كخدم وإدخالهم للدين المسيحي. فالعلاقة تحددت منذ البداية بعلاقة السيد/ التابع أو الخادم، وعلى هذا الأساس أنشأت شركة الهند الشرقية الهولندية في جنوب أفريقيا.

ولكن ما أن جاء الفتح الإسلامي في القرن السابع حتى أدى إلى تقلص المسيحية إلى لا شئ. حتى إن المسيحية جنوب الصحراء كانت واقعيًا غير معروفة. فالانتشار الكبير والسريع للمسيحية في أفريقيا جاء في القرنين الماضيين؛ حيث جذبت ثروات القارة القوى الغربية للتجارة. ومعهم جاء من بشروا بالدين المسيحي. فشركة غرب أفريقيا الهولندية كانت دائمًا ما تعيّن مبشرًا ضمن موظفيها في قلاعها المنتشرة، وتبدو أهميته أنه كان يلي في منصبه الحاكم العام. وكان اهتمام المبشرين أساسًا بالجانب الروحي للأوروبيين وليس للأفريقيين.

وإن كانت القلة من الأفراد قد استطاعوا أن يستفيدوا من المبشرين والدخول في المسيحية فإن مهمة هؤلاء المبشرين الأساسية لم تكن الرسالة المسيحية بقدر ما تمثلت في تبرير الواقع الأفريقي المتدني في ظل العلاقة مع الغرب في ظل الرق، إلى درجة أن أكد أحدهم في بحثه الجامعي أن الرق لا يتنافى مع الحرية الدينية(٥). والرق كان مؤسسة معترفًا بها حتى إلغاؤه وكان جزءًا عاديًا من الحياة والتجارة ولكن لم يتخذ المبشرون ورجال الدين المسيحي ولقرون أية خطوة لإنهائه أو تقليص آلام الخاضعين له.

وهناك عدة عوامل أسهمت في انتشار الحركة المسيحية في أفريقيا في أواخر القرن التاسع عشر أهمها: التقدم الصحي واكتشاف الدواء الواقي من

الملاريا بالذات في عام ١٨٩٧ والتي كانت أكبر معوق للعمل التبشيري حتى عام ١٨٩٠، فهبطت نسبة وفيات الأوروبيين في أفريقيا إلى الثلث.. وكذلك تقدم شبكة المواصلات الأمر الذي يسر انتقال المبشرين ومكن من تقدم العمل التبشيري ووفر الجهد والوقت، وضاعف جهود المبشرين. ولعل أكبر مشجع للعمل التبشيري هو زيادة الطلب على المدارس والمدرسين منذ عام ١٩١٠.

ولكن من أهم الأسباب الحقيقية لارتباط انتشار المسيحية بذلك الوقت بالذات هو بداية الاهتمام الأوروبي بالقارة نفسها –وليس فقط بعنصرها البشري كما كان الوضع سابقًا– وبمصادرها الطبيعية والتكالب الاستعماري عليها؛ الأمر الذي ارتبط به ومهد له في كثير من الأحيان النشاط التبشيري. وقد لخص لفنجستون ذلك بقوله: "أنا عائد لأفتح بابًا للتجارة وللمسيحية، فأرجو أن تكملوا العمل الذي بدأ، والذي أتركه لكم"(٦).

وقد واجهت البعثات التبشيرية العديد من الصعوبات منذ بدء الأمر ولكن الكنائس المسيحية استطاعت أن تزدهر وذلك بالتركيز على الاهتمام بالتعليم الذي هو الكلمة السحرية في أفريقيا، حيث كان المدخل له هو الأخذ بالدين المسيحي الذي كان له مصدر جاذبية للدخول في طبقة المثقفين بالثقافة الأوروبية، ومن ثم التحرك الاجتماعي والاستيعاب في الطبقة الحاكمة. ويلاحظ أن التعليم في الدول الأفريقية كان حتى الاستقلال حكرًا على البعثات التبشيرية المسيحية، وذلك قبل إدخال التعليم العام. لذا يذهب الكثيرون إلى القول بأن "الارتباط بالمسيحية بين الأفريقيين كان تعليميًا أكثر منه لاهوتيًا".

بالإضافة إلى التعليم فقد ركزت الكنائس على العمل الطبي، وذلك بإنشاء المستوصفات والمستشفيات الصغيرة والعيادات التي سبقت إنشاء المستشفيات الكبيرة وقدمت خدماتها بصورة منتشرة ليس فقط في المدن، ولكن أيضًا في الأدغال والمناطق المحلية المختلفة، وقلما وجد مبشر لم يعمل بالطب أو

التدريس أو غيرها، مما اعتبر مدخلًا لنشر الدين عن طريق تقديم الخدمات.

وفضلًا عن هذا، فقد ركزت الكنائس على كتابة اللغات الأفريقية، وترجمة الكتب -خاصة الإنجيل، كله أو أجزاء منه- باللهجات المحلية. فمنذ عام ١٨٠٥ ترجم الكتاب المقدس أو أجزاء عنه إلى ٣٩٥ لغة أفريقية.

المسيحية وانتشار الإسلام:

هناك عدة عوامل أسهمت في انتشار الدين الإسلامي في أفريقيا ترجع إلى التبشير -على الرغم مما ينفق عليه وبسخاء، كما ترجع إلى مضمون المسيحية نفسها بمواجهتها مع المجتمع الأفريقي، وإلى الاستعمار الغربي، الأمر الذي لم يأتِ عن قصد ولكن نتاجه المباشر أو غير المباشر كان الإسهام في انتشار الدين الإسلامي في أفريقيا. فعوامل الطرد في المسيحية عملت في نفس الوقت كعوامل جذب للإسلام. ويتفق المهتمون بدراسة عقبات انتشارها في أفريقيا -في أنها تقع أساسًا في إطار المسيحية نفسها وليس خارجها، ومن ثم تفتح الباب لانتشار الإسلام.

١. صعوبة تفهم التعاليم المسيحية:

تعد الوحدانية الصريحة أو الضمنية قريبة إلى أذهان الأفريقي العادي ودين الفطرة الذي يدين به؛ وبالتالي كان تقبل الدين الإسلامي بأساس الوحدانية المطلقة فيه. أما العقيدة المسيحية فهي عقيدة مركبة، صعبة الفهم، وهي كما يقال عنها أنها "فوق العقل".

ففكرة التثليث أو الوحدانية القائمة على التثليث في المسيحية تقوم على الإيمان بإله واحد مؤلف من ثلاثة عناصر أو أجزاء أو شخوص هي: الأب والابن والروح القدس. والعناصر الثلاثة متساوية، وكل له طبيعته واختصاصه ويتوجه الفرد لكل منها بالدعاء في مجالسه، "فالله الأب مصدر العدل، والله الابن مصدر الرحمة، والله الروح القدس مصدر النعمة" وكل

منها لا يملك القيام بمهام الآخرين وإن كانوا متكاملين.

وكما يعبر مندلسون؛ فإن "مفاهيم المسيحية لم يكن من السهل على الشعب الأفريقي العادي أن يهضمها، وحينما بدأت تظهر النخبة المتعلمة من الأفريقيين كانت المسيحية، لمصاحبتها المستمرة للاستعمار، ترمز له بطريقة أو بأخرى ولهذا بدأت بين المسيحيين الأفريقيين حركة "أفرقة" الدين المسيحي بما يتبعها من تعدد الكنائس الانفصالية التي عملت على أن تأخذ من المسيحية بقدر محدود من ناحية، وعلى أن تحتفظ بالعادات والتقاليد الأفريقية من ناحية أخرى.

كما أن هناك العديد من المفاهيم والأسرار في الدين المسيحي تستعصي على فهم الأفريقي العادي الذي تعود على دين الفطرة وبساطته، ونظرة على الأسرار السبع[٧] -الشعائر- التي تقوم عليها المسيحية؛ حيث تعتبر أعمدة الكنيسة السبع (في الكنائس الكاثوليكية والأرثوذوكسية)، والتي من المفروض أصلًا أن يدين لها بالولاء والخضوع المسيحيون؛ تعطي صورة عن مدى التركيب ومدى أهمية الكهنوت في ممارسة الشعائر: حيث الكاهن هو خادم الأسرار -وكيل الله وأمين أسراره والقائم مقام المسيح- الذي يستدعي الروح القدس بالعبارات المعينة لتقديس السر وإتمامه.

٢. تركيز المسيحية على الشئون الروحية:

- الفصل بين الدين والدولة

جاءت المسيحية كدين روحي خالص انطلاقًا من قول المسيح: "مملكتي ليست من هذا العالم"، على أساس أن نهاية العالم وشيكة وبالتالي تتضاءل كافة الأمور الدنيوية، ومن ثم كانت الدعوة لتسامي الأفراد والتركيز على الأمور الروحية سعيًا للحياة الأبدية الأخروية. فالمسيحية قامت على الفصل بين الأمور الدينية والدنيوية مركزةً على الأولى، مع إعطاء "ما لقيصر

لقيصر وما لله لله"، ليس محبة في قيصر ولكن محبة في الله وعدم الانشغال عن الأمور الروحية بالماديات الدنيوية، فالمسيحية دين وليست دنيا -على خلاف الدين الإسلامي الذي يعتبر دينًا ودنيًا معًا، وكذلك على خلاف الدين التقليدي الأفريقي الذي لم يعرف الفصل بين الأمور الدينية والدنيوية حيث تداخلت في حياة الفرد بحيث يصعب الفصل بينهما فصلًا جامدًا.

وقد فسر البعض هذا البعد كما قدم من جانب المبشرين الغربيين على أنه دعوة للسلبية تجاه معاناة الأفريقيين من الاستغلال والاستعمار الأوروبي لأراضيهم عن طريق وعدهم "بالمملكة" في العالم الآخر في مقابل ترك "مملكتهم الدنيوية" في أفريقيا للأوروبيين.

وقد اعتبر الفصل بين الأمور الدينية -الروحية والدنيوية- الزمنية أحد الفرسان الأربعة التي تعمل ضد انتشار المسيحية في أفريقيا حسب تعبير أموري روس: "فكثير من المسيحيين الأفريقيين تركوا الكنيسة لأن الإنجيل، كما يقولون، يمنعهم من الاشتراك في شئون العالم ويأخذهم إلى عالم غريب حيث الاهتمام بالروح فقط".

هذا وقد قامت الحركات القومية في أفريقيا -بأساليب مختلفة- بتطوير اتجاه معاد للمسيحية حيث نظر للإرساليات التبشيرية -في إطار تلك الحركات التي نمت في ظل الحكم الاستعماري- على أنها نموذج استعماري: لأن الإرساليات عامة لم تقف وقفة إيجابية في وجه الاستعمار ولم تقل لا للوضع الاستعماري.

- الدعوة إلى الزهد والتسامي عن الأمور المادية الدنيوية: الفقر الإرادي

ارتبط بتركيز المسيحية على الأمور الروحية الدعوة إلى الزهد وترك الملذات والأمور الدنيوية والسعي للآخرة. ومن ثم كانت النظرة للغنى على

إنه يفتح الطريق للفساد والغواية ويمثل عقبة في سبيل وصول الفرد وما ينشده من ملكوت السماوات وضمان الحياة الأبدية. فالمسيحية تدعو بوضوح للفقــر الإرادي.

٣. أحكام الأحوال الشخصية في المسيحية:

وقفت المسيحية موقفًا متشددًا في مسائل الزواج والطلاق بما كان له أثــره المباشر على عدم إقبال الأفريقيين على المسيحية، كما كان له أثره المباشــر في أخذ الكنائس المستقلة في أفريقيا موقفًا أقل تشددًا من الكنائس المســيحية العالمية في محاولة للتوليف بين القيم المسيحية والقيم الأفريقية المتوارثة التي تقوم فيما يتعلق بالزواج على تعدد الزوجــات **Polygamy** كــأمر طبيعــي يتمشى مع طبيعة الأشياء. وقد كان لموقف الإسلام المرن في مسائل الأحوال الشخصية أثره المباشر أيضًا في الدخول في الإسلام. وإن كان مــن الخطــأ القول بأن مسائل الأحوال الشخصية هذه وحدها وراء الدخول في الإسلام أو عدم الحماس للمسيحية حيث تمثل أحد العوامل الاجتماعية المهمة.

- شريعة الزوجة الواحدة: إدانة تعدد الزوجات

هناك إجماع بين الكنائس العالمية، قديمة كانت أم جديدة، على مبدأ الزوجة الواحدة، باعتباره ركيزة أحكام الأحوال الشخصية عند المسيحيين، وهو الأمر مسلم به لدى رجال الدين، ولدى رجال القضاء أيضًا. وكما عملت بها الكتب الكنسية، كذلك وردت في التشريعات التي أصدرتها الحكومات المسيحية فــي العالم أجمع.

- موقف المسيحية من الطلاق

وقفت المسيحية موقفًا حازمًا فيما يتعلق بالطلاق حيث حرمته إلا لعلة الزنا التي تهدم أساس جوهر الزواج وهو وحدة الجسد. وفي قول السيد المســيح.. "وأما أنا فأقول لكم أن من طلق امرأته إلا لعله الزنا يجعلها تزني. ومن تزوج

بمطلقة فإنه يزني".

وعليه فمفهوم الطلاق مرفوض تمامًا في المسيحية استنادًا إلى قول المسيح نفسه. وهذا الأمر فيما يتعلق بالطلاق أيدته وفسرته القوانين الكنسية وأقـوال الآباء: آباء الكنيسة.

- زواج الأرامل

وكما وقفت المسيحية في وجه تعدد الزوجات وفي وجه الطـلاق، تأكيـدًا على مفهوم الزوجة الواحدة ووحدة الجسد، فإنها وإن كانت "تجيـز الـزواج الثاني بعد الترمل وإلا أنها لا تستحسنه بل تنصح بعدم قيامه وتضـعه فـي درجة أقل من الزواج الأول". ولذا فقد أخذ الكثيرون بمبدأ الزواج الواحد على الإطلاق، سواء في حياة الزوجة أو بعد وفاتها.

- الدعوة إلى العفة والاعتدال بين الأزواج

والمسيحية لا تنادي فقط بالعفة التي تبدو في تشجيع الرهبنة وعدم الزواج كلية.. ولكن حتى باختيار البديل التالي وهو الزواج فهناك أيضًا دعوة للعفـة والاعتدال والابتعاد عن الانغماس في الشهوة، وتحديد فترات للامتناع عـن فراش الزوجية بقصد التفرغ للعبادة خاصة طـوال صـوم الأربعـين يومًـا المقدسة وأيام التقدم للأسرار المقدسة.

- الحث على الرهبنة

قامت الديانة المسيحية بالدعوة للزهد والرهبنة وترك ملاذ الحياة، وذلـك وفقًا لتعاليم المسيح: "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم". وفـي هـذا المجال يقول البابا شنودة الثالث: "لم نر ديانة في الوجود تحض على البتولية، وتدعو إلى حياة الزهد والعفة مثلما فعلت المسيحية، حتى كان من نتائج ذلـك قيام الحركة الرهبانية الواسعة النطاق التي كانت تشمل فـي القـرن الرابـع الميلادي عشرات الآلاف من الرهبان في براري مصر وحدها".

ومن الطبيعي في ظل هذه الرؤية المحدودة للأحوال الشخصية أن يشعر الأفريقي بالاغتراب في ظل أحكام الأحوال الشخصية في المسيحية حيث أن تعدد الزوجات يعتبر نمطًا عامًا في المجتمع الأفريقية تقليديًا، وحيث ينظر إليه نظرة إنسانية بلا حساسيات حيث تعيش الزوجات عيشة مشتركة ويتعود الأبناء على تلك الحياة بلا غضاضة، وتمثل الزوجة الأولى الآمر والمنظم بالنسبة للأخريات والمبلغ لأوامر الزوج. وقد ذهب التعدد عند زعماء القبائل المقتدرين إلى حد اتخاذ مئات الزوجات.

وجدير بالذكر في هذا المجال أن العديد من المجتمعات الأفريقية تشهد اختلال النسبة بين الذكور والإناث اختلالًا كبيرًا قد يصل إلى أربعة أضعاف لصالح الإناث مما يجعل الرؤية التقليدية طبيعية ومنطقية.

ويمثل هذا الشعور بالاغتراب أحد أسباب انتشار ظاهرة الكنائس المستقلة بأفريقيا، والتي تشترك في السماح بتعدد الزوجات بالنسبة للمسيحيين من أتباعها في محاولة للجمع بين المسيحية والقيم الاجتماعية المتوارثة، أو بعبارة أخرى في محاولة "لأفرقة المسيحية" فضلًا عن أن الكنائس العالمية –بما فيها الكاثوليكية– بدأت تغض النظر عن تعدد الزوجات بالنسبة لأتباعها من الأفريقيين الراغبين في المواءمة بين اتباع كنيسة عالمية والمحافظة على القيم الاجتماعية التقليدية.

٤. التعصب الديني والانقسامات الطائفية:

من أهم ما يلاحظ على المسيحية في أفريقيا، هو محاربة الكنائس المسيحية المختلفة لبعضها البعض، أي الانقسام بين الطوائف المسيحية؛ خاصة بين الكاثوليك الرومان وكلًا من الأرثوذكس والبروتستانت من جهة، وفيما بين البروتستانت أنفسهم من جهة أخرى، فضلًا عن الانقسام الظاهر بين الكنائس العالمية من جهة وبين الكنائس الأفريقية المستقلة التي تنظر إليها الأولى –

على أحسن الوجوه– على إنها كنائس متمردة، وتمثل "وثنية مسيحية" –على أسوأ الوجوه، فكثيرًا ما قامت المشاغبات بين الانتماءات المسيحية للكنائس المختلفة إلى الحد الذي ذهب ببعضها إلى إحراق كنائس الأخريات، خاصة في نيجيريا، الأمر الذي كان يتم أمام سمع وبصر الأفريقيين، مما أفقدهم الثقة بالجميع.

ومشكلة الانقسام الواضح بين الكنائس الأصلية في أفريقيا –فضلًا عن انتشار الكنائس المستقلة والمنشقة عليها– يجعل المسيحية لا تستطيع أن تقف كجبهة واحدة لا في مواجهة الدين التقليدي ولا بالنسبة للإسلام الذي أيًا كانت انقساماته الداخلية –السنة والشيعة– والطرق الصوفية، إلا أنها لا تمس جوهر وحدته.

هذا التعصب الديني الذي ميز سلوك المبشرين عامة –والذي ينقلونه للأفريقيين– يتنافى مع القيم التقليدية الأفريقية؛ حيث إن الأفريقيين أصلاً لا يعرفون التعصب الديني بل كثيرًا ما يقوم الشخص الذي ما يزال يدين بالدين التقليدي بإدماج بعض نواحي التعاليم الإسلامية أو المسيحية في تعاليم أجداده، كما أن العائلة الواحدة قد يوجد بها منتمين لديانات وعبادات مختلفة بدون وجود مشاكل تذكر.

٥. الربط بين المسيحية والتفرقة العنصرية:

أخذت المسيحية كديانة عالمية بالمساواة، وإن كان لا يوجد تأكيد على المساواة المطلقة بين البشر باعتبارهم بشرًا في المقام الأول. بل إن الإنجيل لا يتضمن أي نص صريح على المساواة.

بل إن المسيحية كما دعمها بولس الرسول –قد أخذت بمفهوم أبناء الحرة وأبناء الجارية؛ حيث أبناء الحرة هم نسل السيدة سارة من اليهود ومن بعدهم المسيحيين، أما الآخرون فهم غيرهم من الشعوب من نسل السيدة هاجر من

سيدنا إبراهيم، وهو المفهوم الوارد في التوراة من قبل؛ ففي قول بولس الرسول: "لكن ماذا يقول الكتاب. أطرد الجارية وابنها، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة إذًا أيها الأخوة لسنا أولاد الجارية بل أولاد الحرة".

وفي هذا المجال يوضح سير توماس أرنولد القول: "وقد أجاد شخص كان نفسه زنجيًا توضيح الطريقة التي تقدم بها كل من المسيحية والإسلام إلى الأفريقيين وذلك في العبارات الآتية: بينما تنسب البعثات التبشيرية قيام القساوسة من الوطنيين إلى عصر غير معين، نجد الدعاة المسلمين ينفذون إلى قلب أفريقيا، ويصلون في سهولة إلى الوثنيين، ويحولونهم إلى الإسلام. وبذلك أصبح الزنوج اليوم ينظرون إلى الإسلام على أنه دين السود، والمسيحية على أنها دين البيض، ويرون أن المسيحية تدعو الزنجي إلى الخلاص، ولكنها تضعه في مكان منحط إلى حد أنه يقول في نفسه وقد استولى عليه القنوط: ليس لي نصيب ولا حظ في هذا الدين. أما الإسلام فإنه يدعو الناس إلى الخلاص ويقول له: إن بلوغك أسمى الدرجات الممكنة إنما يتوقف عليك. ومن ثم أقبل الزنجي بدافع من الحماسة على هذا الدين بروحه وجسده".

هذا، وفي الوقت الذي تأخذ فيه المسيحية بثنائية نظام القيم المعمول به في الغرب، فإن الإسلام يأخذ في المقابل بأحادية نظام القيم.

وقد تقبلت المسيحية العبودية كحقيقة مسلم بها، ونظرت إليها شأنها شأن عدم المساواة على أنها شرور دنيوية يجب تحملها تكفيرًا عن الخطيئة الأولى، والاسترقاق على أي حال نظر إليه على أنه استرقاق للجسد أما الروح فهي طليقة. فلم تتخذ المسيحية أية خطوة للقضاء على الرق، أو رفع شأن الأرقاء حيث تقبلت مفهوم العبودية ، ووردت في مواضع متفرقة في الإنجيل، والرق على أية حال كان مؤسسة معترف بها في العالم حتى ألغى رسميًا في أوائل

القرن الماضي.

وهكذا وجد الأفريقيون في ذلك عنصر طرد أساسي من المسيحية، وفي نفس الوقت يتحول هذا إلى عنصر جذب للإسلام؛ الذي هدم أسس التفرقة العنصرية بأحادية نظام قيمه، وبأسس المساواة العالمية المطلقة فيه والممارسة التي رفعت شأن السود، الأمر الذي جعل الكثيرين يطلقون عليه: "دين الرجل الأسود".

٦. التغريب وتطلب ترك العادات والقيم التقليدية:

حرصت الإرساليات التبشيرية على نقل الحضارة الأوروبية الغربية لأفريقيا من جهة، كما حرصت على ضرورة ترك الأفريقيين المسيحيين للكثير من العادات والقيم التقليدية الموروثة، من جهة أخرى. مما جعل صفة الأجنبية والتغريب ترتبط في الأذهان بالمسيحية في أفريقيا، الأمر الذي أدى لاستخدام تعبير "الأورو– مسيحية Euro- Christianity في هذا المجال. والنظر إلى الأفريقي المسيحي على أنه "أورو– مسيحي Euro- Christian".

فالعمل التبشيري لم يقتصر على نشر الديانة المسيحية والدعوة للإنجيل، ولكنه تضمن أيضًا التعليم والحرف والفنون والرعاية الطبية، كما أن زراعة الثقافة الأوروبية قد أصبحت بعدًا أساسيًا من الأهداف التبشيرية.

ومن الجدير بالملاحظة أن أسلوب التنصير القائم على "تحويل روح واحدة" أي إدخال كل فرد على حدة للمسيحية –حيث الأساس تغيير القلب– اتبع في أفريقيا كما هو متبع في المسيحية عامة، ولكنه وإن تمشى مع الفردية الغربية إلا إنه أغفل الانتماء الجماعي في أفريقيا، وأعطى الانطباع بأن على الأفراد أن يتركوا قبائلهم لينتموا "للقبيلة المسيحية". وغني عن الذكر أن أسلوب التنصير الفردي هذا يجعل من الصعب دخول الأفريقيين للمسيحية كجماعات وإن لم يحل دون دخولهم كأفراد، على خلاف المشاهد بالنسبة لدخول عائلات

بل وقبائل بأجمعها للإسلام مرددين الشهادة جميعًا.

فالحضارة الأوروبية اعتبرت إحلالية محل الحضـــارة الأفريقيـــة التـــي حرصت الإرساليات على تدميرها كمتطلب سابق للدخول في المسيحية. وكما يعبر البعض فإن ما قامت به الإرساليات هو في حقيقته عملية إفنـــاء ولـــيس عملية استيعاب. وإن على الأفريقي وخاصة الأفريقي المسيحي التعامل مـــع هذه المشكلة.

٧. النشاط التبشيري المسيحي:

هناك عدة أبعاد للنشاط التبشيري المسيحي -على الرغم مما ينفـــق عليـــه بسخاء- أسهمت في الإساءة لصورته، ومن ثم انعكست على مـــدى انتشـــار المسيحية.

- مشكلة الاتصال بين المبشرين والأفريقيين

إن أهم مشكلة تواجه الكنيسة في أفريقيا تقع في مجال التواصل، ومن هنا كانت صعوبة توصيل الرسالة المسيحية. فالمسيحية جاءت على يد المبشرين الأوروبيين، وما زالت لهم اليد الطولي في هذا المجال على الرغم من انتشار الكنائس المستقلة، فهناك في الواقع حائل حضـــاري ونفســـي يفصـــل بـــين المبشرين وبين المخاطبين من الأفريقيين.

- عدم الثقة في جدية التبشير والقائمين عليه

من الملاحظ أن المبشرين في سعيهم لجمع الأموال -من دولهم الأصـــلية خاصة والدول الغربية عامة- اللازمة للعمل التبشيري في أفريقيا أســـاءوا - دون قصد في أغلب الظن- إلى صورة المجتمعات الأفريقية، وذلك بـــإبراز بعض أوجه الحياة والنواحي غير المشرقة فـــي تلـــك المجتمعـــات (كـــالفقر والمرض والتخلف الاجتماعي وغيرها) والمبالغة في إظهارها، جذبًا للعطف والأموال.

– عدم اندماج المبشرين بالأفريقيين: الانطواء والانعزالية والاستعلاء

فالمبشرون المسيحيون يحملون معهم إلى أفريقيا بالطبيعة استعلاء وتفوق المجتمع الغربي الذي جاءوا منه، وهــم لا ينــدمجون مــع الأفــريقيين ولا يتزوجون بزوجات أفريقية، بل يحافظون دائمًا علــى مســافة بيــنهم وبــين الأفريقيين (ونفس الأمر ينطبق على سلوك المبشرين البيض تجاه إخوانهم من المبشرين الزنوج الأفرو– أمريكيين).

ثانيًا: دور الاستعمار في انتشار المسيحية والإسلام:

– العلاقة بين التبشير والاستعمار

أهم ما واجه المسيحية في أفريقيا من صعوبات عرقلــت نشــاطها هــو اصطباغها بالصبغة الاستعمارية، حيث نظر إليها على إنهــا أداة اســتعمارية وملحقه بالإدارة الاستعمارية أيًا كانت تلك الإدارة. ومن ثــم؛ فــإن رفــض الاستعمار تضمن بالطبيعة رفض كل ما ارتبط به من قيم؛ بما فيها المسيحية. والمبشر المسيحي كان رائدًا لدخول الرجل الأبيض للقارة؛ فالمبشرون كــانوا طليعين للاستعمار الغربي في أفريقيا فقد سبقوا الجيوش الاستعمارية ووطدوا لها، كما جاءوا في ركابها؛ حيث لم تخلو الجيوش الاستعمارية من المبشرين ليعملوا على فتح القلوب، وتضمنت الاتفاقــات التــي أبرمــت بــين الــنظم الاستعمارية والزعامات الأفريقية حيثما وجدت بندًا ينص على إطلاق حريــة التبشير في طول البلاد وعرضها. كما عــاش المبشــرون علــى الحظــوة والتفضيل الإمبريالي والسياســي، وارتبطــت مصــالحهم بمصــالح دولهــم المستعمرة خاصة، وارتأوا استمرار الوضع القائم الذي يمكــنهم مــن القيــام بمهامهم، وبنفس المثل استخدمتهم النظم الاستعمارية على اختلافهــا لتحقيــق أهدافها: فالعلاقة المتبادلة بينهم، وكذلك المصلحة، فالعلاقــة بيــنهم تكافليــة بالدرجة الأولى. ومن هنا فقد استخدم البعض تعبيــر "إمبرياليــة الجماعــات

التبشيرية" أو الإمبريالية التبشيرية، رمزًا لتسلط الإرساليات في أفريقيا وسياستها في السيطرة على مقدرات الشعوب وتسييرها وفقًا للسياسات الاستعمارية، والقضاء على أي تراث ثقافي قائم غير التراث الغربي المسيحي، وكان المدخل الواسع للتبشير ونشاطه هو التعليم الذي كان نحو ٩٥% منه في يد المبشرين في ظل الإدارة الاستعمارية، وكان التعميد هو المتطلب السابق للتعليم في معظم الحالات، ولكن في بعض الحالات قام الأفريقيون فيما بعد بإحراق المدارس والكنائس على أساس أنها مرتبطة بالسلطة ومن ثم بالإخضاع.

وعليه فإن إصباغ المسيحية في أفريقيا بالصبغة الاستعمارية جعل الدعوة لنبذ الاستعمار والتحرر دعوة ضمنية لنبذ المسيحية. فالمسيحية جاءت على يد الأوروبيين وظهرت بل وظل ينظر إليها على أنها دين الرجل الأوروبي أي دين الرجل الأبيض، وظلت تنوء تحت عبء تلك الصفة. وبالتالي؛ فهي ينظر إليها في كثير من الأحيان على أنها دين الأوروبي المستعمر، فالدعوة للأفريقية والأصالة أخذت إلى حد كبير شكل الدعوة لنبذ كل ما هو غربي، مرتبط بالاستعمار بما فيه المسيحية. وفي أحسن الأحوال أخذت شكل أفرقة المسيحية بقيام الكنائس المستقلة التي يطلق عليها البعض "الكنائس المتمردة"، والتي على أي حال تعمل ضد فكرة العالمية التي تنشدها الديانة المسيحية. وكما يعبر البعض من الأفريقيين "إن الشر الأساسي للتبشير المسيحي في أفريقيا هو تراثها النفساني. المسيحية هي دين أسيادنا الجائرين الأجانب. وقد ينظر إلى زيادة انتشارها بين شعب يحاول أن ينفض عنه آثار أسياده الأجانب نظرة ريبة. وليست فكرة إقناع الرجل الأسود بقبول رب الرجل الأبيض سوى ترادف لإقناعه بقبول دوره الأدنى".

ومما يلاحظ في هذا المجال أنه في الوقت الذي ربطت فيه الشعوب

الأفريقية بين الاستعمار والمسيحية –حيث قدمت المسيحية على أية حال من جانب مواطنين ينتمون على وجه الخصوص لدول مستعمرة– فإن الإسلام على العكس ارتبط في أذهان الكثيرين بالوقوف في وجه الاستعمار لا كمجرد دعاية أو تصور ولكن كحقيقة موضوعية: فمن ناحية واجهت الجيوش الاستعمارية ومحاولة فرض السيطرة من جانب الدول الأوروبية مقاومة شديدة من جانب الزعماء الدينيين المسلمين الذين أطلقوا على الأوروبيين من الغزاة اسم "الكفار". وقد شهدت القارة الأفريقية في الواقع هذه الظاهرة التي انتشرت من مكان لآخر: السنوسية في ليبيا، المهدية في السودان، الملا في الصومال، حركة الزعيم سوماري توري في غينيا، القادرية في الجزائر، العرابية في مصر، حركة الحاج عمر التل وابنه احمد في إمبراطورية ماسينا في مالي، وحركة ماء العينين القلقمي في موريتانيا وعثمان دان فوديو في نيجيريا، كلها أمثلة حية على "الحروب المقدسة" تحت راية الإسلام لمقاومة الغزو الأوروبي والتسلط الاستعماري.

ويلاحظ أن الإسلام كان بطئ الانتشار في القارة الأفريقية عامة حتى القرن التاسع عشر، حتى فرض الاستعمار سيطرته على القارة ومن وقتها انتشر بسرعة واضحة حتى اصبح متغلغلاً في كل دول القارة، وإن كان الاختلاف بينها في نسبة المسلمين العددية وليس في وجوده أو عدمه. فما من دولة في القارة اليوم لا تعرف وجود المسلمين بها –حتى أنجولا معقل الكاثوليكية وركيزة البرتغال بالقارة لقرون بها عدد من المسلمين يصل إلى نحو الألفين. وهم مع قلتهم يمثلون ظاهرة تدرس عن كيفية الصمود والاستمرار رغم الجهود المكثفة للتبشير بالمنطقة ولقرون.

ولكن ما السبب في ارتباط سرعة انتشار الإسلام وتعميقه في أفريقيا بوجود المستعمر؟

هناك عدة جهود لتبرير ذلك: فمن ناحية، يمكن القول أن الحروب الدينية باسم الجهاد جذبت إليها الكثيرين لمواجهة الاستعمار، ومن ناحية أخرى فقد يكون هناك أيضًا اجتياح تلك الجيوش الإسلامية لكثير من القرى في أثناء مواجهة المستعمر قد جعل الكثيرين يتبعونه لا بحماس المجموعة الأولى ولكن خوفًا أو اتباعًا للكثرة. من ناحية ثالثة فإن زعامة القادة الأفريقيين المسلمين للجهاد ضد المستعمر الأوروبي خلق تعاطفًا مع المسلمين وجعل الإسلام رمز الكفاح ضد المستعمر وجذب لأتباع الدين الإسلامي البعض ممن نفروا لنفس السبب من المسيحية التي جاءت تحت الراية الاستعمارية الأوروبية. يضاف إلى هذا أن النظم الاستعمارية في كثير من الحالات -كما حدث في غرب أفريقيا وشمالها وشرقها (منطقة القرن الأفريقي)- لم تستطع أن تقيم حكمها إلا بعد القضاء على المملكات الإسلامية القائمة والتي مثلت عقبة كئود في سبيل فرض سيطرتها الاستعمارية. إلا أنها، وإن كانت لم تستطع بذلك أن تتغلب على حقيقة أن المسلمين كانوا على درجة من التقدم والتنظيم والثقافة مما جعلها تستعين بهم في الإدارة. كما استخدمت الكثير من المشايخ ذوي النفوذ الاجتماعي- السياسي لضمان السيطرة على الشعوب عن طريقهم، مما قوى من نفوذهم الاجتماعي- السياسي وجذب إليهم المزيد من الأتباع ويبدو هذا واضحًا من المشايخ المعروفين بالمرابو (المرابطين) في غرب أفريقيا الناطقة بالفرنسية وخاصة في السنغال والمعلم أو مولمو في شرق القارة. ويلاحظ أن اعتماد بريطانيا على السواحيليين في شرق أفريقيا في الإدارة كان مطلقًا تقريبًا -على الرغم من كراهيتها لذلك، ولكن كونها قد بنت سياستها الاستعمارية على البرجماتية، فإنه كان عليها أن تستعين بأكثر العناصر تقدمًا ألا وهم المسلمون السواحيليون، مما أسهم أكثر في زيادة نفوذهم اجتماعيًا وزاد من نشاط الدعوة الإسلامية. يضاف إلى هذا فإن قدوم

الأقليات الإسلامية من الهنود -وخاصة الباكستانيين منهم- الذين جلبتهم وجذبتهم الإدارة البريطانية للعمل في شرق أفريقيا وجنوبها والجزر الأفريقية، أسهم في نشر الإسلام عن طريق هؤلاء الذين وإن كانوا قد جاءوا معهم ببعض الانشقاقات الدينية، إلا أنهم على أي حال مسلمون. ويرجع الفضل لهؤلاء المسلمين التجار من الأقليات الآسيوية في حمل شعلة نشر الإسلام في شرق وجنوبي أفريقيا بحيث نجد أن نحو ٦% من الملونين -وهم ذوي الأصل المختلط- في جمهورية جنوب أفريقيا من المسلمين.

- التحريك الاجتماعي في ظل الاستعمار وأثره على انتشار الإسلام

على الرغم من الاختلافات الواضحة بين النظم الاستعمارية المختلفة من حيث السياسات الاستعمارية المتبعة وأنماطها، إلا أنها جميعًا وبدون أن تدري أوجدت الظروف الملائمة للتحريك الاجتماعي -المتمثل في عوامل التغيير التي تطرأ في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي تخرج بوعي الأفراد بعيدًا عن البيئة المحلية التي ولدوا فيها- والذي يعتبر متطلبًا سابقًا لظهور الحركات القومية والاستقلال. كأنها وبدون أن تدري بذرت بذور فنائها بتمهيد المجال لظهور وريثتها الحركات القومية التي ظهرت في ظل الوجود الاستعماري وكنتيجة له. ويهمنا في هذا المجال أثر عوامل التغيير في انتشار الدين الإسلامي. ونذكر من أهمها من الناحية السياسية: أن الحكم الاستعماري أضعف السلطة التقليدية للزعماء التقليديين مما نتج عنه إضعاف سلطة هؤلاء الدينية وتدهور الديانات القبلية حيث تعمل كل جماعة قبلية كجماعة دينية في نفس الوقت، وقد مارس الزعماء التقليديون سلطة دينية باعتبارهم زعماء دينيين أيضًا.

كما أن استتباب الأمن وانتشار طرق المواصلات البرية والحديدية من جهة أخرى ساعد على سهولة انتقال التجار -حملة الدين الإسلامي من جهة،

كما شجع من جهة أخرى انتقال الشباب بعيدًا عن المناطق الريفية التي ولدوا وتربوا فيها مما أسهم أيضًا في تحلل الروابط التقليدية وإبعاد الشباب عن السلطة التقليدية سياسيًا ودينيًا. فضلًا عن ذلك فإن إنشاء المدن أو على الأصح انتشارها –حيث إنها كظاهرة كانت موجودة قبل الوجود الاستعماري ولكن انتشرت حول مقر الحكم الاستعماري وازدادت اتساعًا– مع وجود فرص للاستقرار والتعيش خارج المناطق التي ولدوا فيها أسهمت أيضًا في جذب الأفريقيين خاصة الشباب منهم، مما أسهم في إضعاف السلطة التقليدية والبعد عن ممارسة الدين التقليدي والجزاءات الدينية التقليدية. ومن ناحية أخرى فإن المدن الجديدة فتحت المجال لإيجاد أنواع جديدة من الزعامات، ويهمنا على وجه الخصوص تبلور الجماعات الدينية الإسلامية وانجذاب الأفراد إليها كنوع من أنواع التكيف والحياة الاجتماعية الجديدة حيث يجد الفرد في التجمع مع الرفاق خلاصًا من الغربة في المدن مع وجود أنواع من الصداقة والزمالة والتجمع والمشاركة في الصلاة والرقص والأناشيد الدينية والاحتفالات وحلقات الذكر وغيرها.

ومن الملاحظ، أن الإسلام أكثر انتشارًا في المدن عامة، بينما ركز المبشرون المسيحيون جهودهم ولا زالوا يركزون على المناطق النائية – الريفية والغابات– بين من لم يمسوا كثيرًا بالحياة الحضرية ولم يتعرضوا للأفكار والآراء المتجابهة. وعليه ففي الوقت الذي جذبت فيه المدن الشباب بعيدًا عن السلطة التقليدية، ومن ثم بعيداُ عن ممارسة الدين التقليدي، عمل هؤلاء على مواجهة التحدي الذي واجههم في المدن بالانتماء للجماعات الدينية الإسلامية المنظمة والتي لعبت دورًا مهمًا في التكيف الاجتماعي للشباب الباحث عن العمل، ومثل هؤلاء يعملون بعودتهم للزيارة في مناطقهم المحلية كحملة لنشر الإسلام.

فمن الملاحظ أنه في الوقت الذي ركزت فيه الإرساليات جهودها على المناطق الريفية، فإن الإسلام تغلغل في الريف عن طريق التجار والدعاة المحليين الذين كانوا في كثير من الأحيان أكثر تقبلًا وتأثيرًا من الإرساليات التبشيرية.

ثالثًا: الإسلام:

الدعوة الإسلامية والدعاة

تتميز الدعوة الإسلامية بالعالمية، فهي موجهة للناس كافة، ولم يعرف الإسلام مفهوم شعب الله المختار. كما أن المسلمين في أفريقيا يعملون على أساس مبدأ أن كل فرد هو داعية لدينه. فلم تقم الدعوة الإسلامية على وجود مبشرين رسميين منظمين، وهذه النقطة بالذات كانت وراء انتشار الإسلام الذي لم ينشر بجهود منظمة ولكنه تغلغل بين الشعوب الأفريقية بصورة استرعت الانتباه.

وهناك عدة ملاحظات عن الدعوة الإسلامية في أفريقيا، ويمكن تلخيص أهمها في التالي:

- لم ينتشر الإسلام في أفريقيا على أيدي مبشرين منظمين مرتبطين أصلًا بدولهم، على خلاف المسيحية التي اعتمدت في انتشارها أساسًا على جهود المبشرين المرتبطين بالدول الأوروبية المستعمرة.
- إن وسائل الدعوة الإسلامية قد تنوعت، وتنوع الدعاة الذين انتموا أصلًا للمناطق المحلية في أفريقيا، ومن أهم رسل الدعوة: التجار، ورجال الطرق الصوفية، والأئمة والوعاظ من دارسي الأزهر، والجماعات في شمال أفريقيا، والمراكز الثقافية في غربها وغيرهم.
- إن الدعوة وإن بدأت على أيدي التجار العرب في الشمال والشرق،

وكذلك ذوي الأصول الآسيوية في الجنوب والشرق، إلا إنها سرعان ما انتقلت إلى الشعوب الزنجية نفسها ليصبحوا هم رسل الدعوة الإسلامية في القارة بعد استيعابهم للإسلام.

- إن الإسلام انتشر سلميًا وليس بحد السيف، و"تغلغل في الأوساط الأفريقية بلا اعتراض". وقد أسهمت الفتوحات الإسلامية والجهاد الإسلامي في نشر الإسلام نظرًا لنشر الأمن وطرق المواصلات وتأمينها، مما يسر انتقال الدعاة المجهولون ورجال الطرق الصوفية والتجار وحملة الدعوة الإسلامية غير المنظمة. كما جذبت السلطة العديدين للدخول في الدين الإسلامي انتماء للنخبة. فضلًا عن أن الدخول في الإسلام في كثير من الحالات عنى عدم دفع الجزية ــ الأمر الذي كان للفرد الخيار فيه.

- لم تقم الدعوة الإسلامية على أساس فردي، ولكن قامت على أساس جماعي بالدرجة الأولى وبالتالي كان من المألوف تدخل قبيلة بأجمعها الإسلام بعد الانجذاب إليه والاعتقاد في مبادئه.

- قامت الدعوة الإسلامية أساسًا على التدرج والتسلسل، وبالتالي فلم يكن الدخول في الإسلام على حساب الانفصال بين الأفريقي ومجتمعه وتغريبه عنه، بل مثل الانتماء للإسلام جزءًا من الأصالة الأفريقية، حيث لم يقم أجنبي بتقديم الدين ولم يرتبط به الدخول في ثقافة وحضارة أجنبية، ولم يتبعه الشعور بالاغتراب بل على العكس تبعه تأكيد الذات الأفريقية من خلال تقديم الحل المنطقي لعدد من الممارسات التقليدية كالرقص والإيمان بالأرواح والسحر وتعدد الزوجات .. مما سمح للأفريقي بالاحتفاظ بشخصيته الأفريقية مع الانتماء للدين العالمي الشامل.

من أهم وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا

- **التجار والدعوة الإسلامية**

من أهم رسل الدعوة الإسلامية في أفريقيا التجار المسلمين الذين وفدوا على أجزاء القارة المختلفة بهدف أصلي هو التجارة، وإن كان قد تبعه أثر مهم هو نشر الإسلام. وكان هؤلاء التجار من العرب والبربر من قبائل شمال أفريقيا ممن حملتهم القوافل عبر الصحراء التي مثلت جسرًا انتقل عبره الإسلام والثقافة والحضارة الإسلامية من الشمال إلى المنطقة التي تلي جنوب الصحراء مباشرة في بدء الأمر والتي يطلق عليها حاليًا منطقة الساحل. ثم سلم هؤلاء التجار الدعوة وبطريقة تلقائية لشعوب المنطقة السودانية الذين قاموا بأنفسهم بحمل راية الإسلام. وكان من أهمهم في غرب أفريقيا الديولا من قبائل الماندي، والهوسا في نيجيريا وغرب أفريقيا. وبالمثل في شرق أفريقيا، حيث تم نفس النمط تقريبًا؛ إذ انتقل الإسلام مع التجار العرب في شرق أفريقيا ثم على أيدي السواحليين -من المواطنين الأفريقيين- الذين أسلموا أولًا وتأثروا بالتراث الإسلامي والذين أصبحوا هم دعاة الإسلام للداخل. وبالمثل قام التجار من الهنود وذوي الأصل الآسيوي بدور مهم في نشر الإسلام في شرق وجنوب القارة، كما قام اللبنانيون بدور شبيه في هذا المجال في غرب أفريقيا ووسطها.

- **الطرق الصوفية**

وهي واسعة الانتشار في المناطق الإسلامية في أفريقيا عامة، إلا إنها أوسع انتشارًا وأكثر تأثيرًا في أفريقيا جنوب الصحراء عنها في الشمال. وإن كان من الملاحظ أن نشاطها في نشر الدعوة قد بدأ متأخرًا ولم يتبلور إلا في القرن التاسع عشر.

وعلى الرغم من كثرة ما وجه ويوجه للطرق الصوفية من نقد باعتبارها تشوه بساطة الإسلام وصورته، إلا أنها لعبت -ولا تزال- دورًا هامًا في نشر

الإسلام.

وأهم إنجازاتها هو أن التحول للإسلام انتقل على يديها من حالات فردية إلى حالات جماعية، فهي تمثل ندا خطوة في تدعيم الإسلام في نفوس الأفريقيين. والمعروف أن كثير من الساسة الأفريقيين ينشدون بركة علماء الدين؛ ولهم عندهم حظوة في مجتمع تمارس فيه تقليديًا الجزاءات الدينية من جانب رجال الدين التقليدي –وإن كانت لا تصل إلى مثل ما لرجال الدين المسيحي– خاصة في الكنائس القديمة –الذين يعتبرون في نظر المسيحيين واسطة طبيعية بين الفرد والرب.

والطرق الصوفية ليست مذاهب دينية بل تعمل كجماعات داخلية موحدة بواسطة زعمائها وتابعيهم (المريدين). وأهم هذه الطرق في أفريقيا : القادرية، والتيجانية، والسنوسية، أوالأحمدية، والمهدية والقلقمية.

عوامل الجذب في الإسلام

إن كان يحلو للبعض الحديث عن: الإسلام في أفريقيا في إطار من التعددية: من ذلك القول: "بالإسلام الأسود"، أو "الإسلام الشعبي"، أو "الإسلام الفلكلوري"، أو "إسلام مرحلة الاستعمار"، أو "إسلام ما بعد الاستقلال"، إلا أنه من الجدير بالملاحظة، والتي يؤكد عليها الباحثون الغربيون الجادون في مجال الأديان والعلوم الاجتماعية، هو تماسك المجتمع الإسلامي. وهو الأمر الذي ينظر إليه "ليس كنظرية ولكن كمشكلة" يجب التعامل معها طبعًا من وجهة نظر الغربيين المسيحيين.

فالإسلام أثبت أن له قدرة استيعابية كبيرة للاختلافات الثقافية وللتميز الثقافي –الأمر الذي لم تعرفه المسيحية أساسًا– على عكس ما حدث من المواجهة بين الأورو– مسيحية والمجتمعات الأفريقية التي نتج عنها الآلاف

من الحركات الدينية الجديدة التي تمس جوهر المسيحية، بل وينكرها البعض منها في مقابل التميز. فلإسلام لم يشهد التفسخ الداخلي الذي شهدته المسيحية في أفريقيا.

الإسلام دين الفطرة

لعل من أهم ما يجذب الأفريقيين للإسلام، هو بساطة تعاليمه وعدم وجود أفكار تستعصي على فهم الشخص العادي. فأسس الإسلام بسيطة وميسورة وعملية. والإسلام دين الفطرة، حيث تتمشى أحكامه مع العقل والمنطق وتتميز بالمعقولية، فهو لا يتطلب من متبعيه أية أمور معقدة ولا يأتي بأفكار بعيدة عن التصور، ولا يفرض عليهم قيودًا لا يستطيعون القيام بها. أي أن الإسلام لا يتضمن طقوسًا معقدة، بل يتميز بالبساطة والعلاقة المباشرة بين الفرد وربه، فلا يعرف الإسلام رسميًا مفهوم رجل الدين على عكس الهيراركية الكنسية أو الأكليروس في المسيحية.

وتبدو بساطة تعاليم الإسلام ومعقوليته في أركانه؛ ففي قول الرسول ρ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلًا"(٨).

وفيما يتعلق بالشهادة فهي تقوم على الوحدانية المطلقة. وهو أمر متقبل لدى الأفريقي العادي: حيث يتفق الدين التقليدي في مختلف شعوب أفريقيا على الإيمان بخالق أعظم للكون، ومما يجعل الوحدانية القائمة على التثليث في الديانة المسيحية –وهي أن الرب هو واحد في ثلاث: "الأب والابن والروح القدس"– صعبة على فهم وتقبل الشخص العادي.

وهناك الكثير من الأبعاد والأحكام الشرعية التي يأخذها المسلم على أنها

قصبْة مسلم بها ولا تسترعي انتباهه ولكنها بالنسبة للأفريقي العـــادي الـــذي يرقبها ويقيمها في إطار الظروف الاجتماعية التي يعيشها تمثل جاذبية خاصة له:

- فالصلاة وممارستها بجانب كونها فرضًا تعبديًا تبدو مبهـــرة وجذابـــة للأفريقي في عدة نواح: فالوضوء يعني الاغتسال والطهارة عدة مرات فـــي اليوم الواحد وهي تميز المسلم عن غيره ممن قد لا يغتسل لشـــهور، وســـتر الجسد في الصلاة يميزه عن من يدينون بدين الأجداد ويمشون شـــبه عـــراة، والأذان للصلاة يشد انتباه غير المسلم عامة وله وقع نفسي وانفعالي عليه حتى أن بعض الكنائس الأفريقية في كينيا تستخدم فيها أصوات تشبه الأذان المتبع عند المسلمين، وخلع النعلين عند دخول المسجد يتفق مع تعوده علـــى خلـــع نعليه عند دخول المسكن كرمز للاحترام والمحافظة علـــى نظافـــة المكـــان، وجماعية الصلاة ومساواة الصفوف دليل على المساواة.
- والزكاة تعد أداة فعالة لتحقيق التكافل الاجتمـــاعي، وجـــاءت تســـميتها بالزكاة –كتزكية وتطهير للمال– وليس بالالتزام المالي، وتحديد سعرها بنسبة بسيطة بهدف تخفيف وطأة العبء النفسي على الفرد.
- كما أن الصوم بالإضافة لكونه رياضة روحية إلا أن شهر رمضان هو شهر التكافل الذي يطعم فيه الأغنياء الفقراء.

واقعية أحكام الإسلام وعموميتها

فالإسلام دين لكل زمان ومكان، تضمن الكثير من الأحكام التـــي تصـــلح للتطبيق في المستقبل كما صلحت للتطبيق في الماضـــي، ويتـــرك تفاصـــيل التطبيق لكل مجتمع وكل ظرف: ومن هنا جاءت مرونة أحكامـــه. ووضـــع الإسلام تنظيمًا كاملًا للمجتمع الإسلامي فيما يتعلق بالشرائع، كما وضع معالم

تنظيمية وقانونية للمجتمع الإسلامي، وذلك بعكس الأديان العالمية الأخرى التي اقتصرت أساسًا على النواحي التعبدية أو الروحية.

فتضمن الأحوال الشخصية والمواريث والمعاملات من بيع وشراء وعقود، وفي نفس الوقت تضمن الحدود والقصاص وبذلك وضع معالم تنظيمية وقانونية للمجتمع الإسلامي، وذلك بعكس الأديان العالمية الأخرى التي اقتصرت أساسًا على النواحي التعبدية أو الروحية.

وهنا مركز الجاذبية للأفريقي؛ الذي من ناحية يسعى إلى تنظيم حياته بشكل لا يختلف كثيرًا مع مقومات مجتمعه في نفس الوقت الذي يعطي الأمل في التقدم والارتقاء. وعدم الفصل بين الدين والدنيا له جاذبية خاصة عند الأفريقي الذي لم يعرف تقليديًا مثل ذلك الفصل. هذا بعكس المسيحية التي، ومنذ البداية، قامت على أساس الفصل بين الأمور الروحية والدنيوية وبنيت على أساس "أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله"، مع تركيزها على الأمور الروحية وترك الأمور الدنيوية.

والدخول في الإسلام لا يعني تخلي الأفريقي عن مقومات حياته وقيمه المتوارثة طالما لا تتعارض مع الأسس العامة، وتعتبر هذه النقطة بالذات مصدرًا كبيرًا لتفوق الإسلام وانتشاره في أفريقيا وزيادة القوة الجاذبة للإسلام.

وفي الواقع فإن هذه الميزة بالذات تعتبر من أهم أسباب انتشار الإسلام، لان انتشار الدين وتقبله لا يتحقق فجأة بل إنه يأخذ وقتًا وبالتدريج إلى أن يبدأ في أن يصبح جزءًا من حياة معتنقيه، وهذا ما يحدث بالنسبة للإسلام حيث يتغلغل بهدوء وبساطة في حياة معتنقيه[٩].

التوازن بين الأمور الروحية والمادية (الوسطية في الإسلام)

الإسلام دين وسط جاءت أحكامه متمشية مع المعرفة الحقة بالنفس البشرية واحتياجاتها، فلم يتطلب من المسلمين أن يتشبهوا بالملائكة والقديسين، كما هو الحال في المسيحية، ولكنه نظر لهم كبشر وذلك في ضوء التوازن بين الأمور الروحية والدينية.

ومن هنا نجد إن الإسلام حقق التوازن في أحكامه بين الروح والمادة ونظر نظرة موضوعية للأمور الدنيوية في إطار الأمور الدينية، حيث أخذ بالحث على العمل للآخرة مع عدم نسيان الحياة الدنيا. وفي قوله تعالى: **[وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا]** (القصص: ٧٧)، وفي نفس الوقت أمر الله الناس بالاعتدال مع تذكر الله واتباع تعاليمه: **[وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ]** (الحشر: ١٩). فلا رهبانية في الإسلام ولا زهادة. والإسلام يختلف في هذا عن كل الديانات السابقة حيث يعني بالجسد عنايته بالروح ويخاطب الفرد فيما يتعلق بالعبادة كما يخاطبه فيما يتعلق بالتعامل مع المجتمع.

وترك ملاذ الحياة المباحة، زهادة وعبادة، يعتبر خروجًا عن السنة واتباعًا لغير سبل المؤمنين. فالإسلام ليس رهبانيًا ولا حرمانيًا، وإنما جاء لإصلاح الدين وإعطاء كل ذي حق حقه ولكل شئ حقه، للجانب الروحي حقه، ولملاذ الدين المباحة وللراحة حقها.

وفي الوقت الذي نهى فيه الإسلام عن الرهبانية والتبتل حث على الزواج -وإن كان حَّرم زواج المسلمة من غير المسلم، والمسلم بالكافرة بينما سمح له بالزواج من أهل الكتاب من مسيحيات ويهوديات، كما أباح الإسلام الطلاق في حالة استحالة التوافق في الحياة الزوجية واستنفاذ كافة وسائل إصلاحها، كما أباح تعدد الزوجات ولكن نظمه: فقد حدده بحد أقصى أربعة وتطلب العدل التام في المعاملة، وهو أمر صعب التحقيق.

كما نظر الإسلام نظرة موضوعية لمسألة الثراء فقد أقره، وإن كان قد نظمه عن طريق الزكاة والتكافل الاجتماعي. فالإسلام لا يدعو للفقر الإرادي ولا يحض على ترك الدنيا كلية سعيًا للآخرة، بل أحكم التوازن تمشيًا مع الطبيعة البشرية والمعرفة بالنفس البشرية.

التعاون والتكافل الاجتماعي

حيث ركز القرآن على البر والإحسان بالناس، والرحمة والتراحم فيما بينهم. وتمويل التكافل يكون من خلال عدة مصادر أهمها: الزكاة، الجزية، الغنائم، الفيء، الركاز، الأشياء الضائعة. وبهذه الموارد التي تدخل بيت المال وجوبًا بحكم التشريع، يمكن الإنفاق على خدمات الرعاية الاجتماعية للمحتاجين أي تمويل التكافل الاجتماعي والمشروعات ذات النفع العام. فضلًا عن أن هناك موارد اختيارية مثل الصدقات: صدقة الفطر، زكاة الفطر، والكفارات.

التيسير في الإسلام

[يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ] (البقرة: ١٨٥)، ومن هذا المنطلق قامت أحكام الدين الإسلامي بما تتضمنه من تيسيرات على المسلم المكلف، مما كان له أشد الوقع على تقبل الإسلام، حيث تمشت أحكامه مع الطبيعة البشرية. فقد ربط بين التكليف ومقدرة المكلف، بشكل كان للأفريقيين بل ولغيرهم بحق، الحق في أن يؤخذوا به. فمع النص الكريم بأن الله عز وجل **[يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ]** (غافر: ١٩).

وقد راعى التشريع الإسلامي العدالة فيما أوجبه على المكلف. فمن ناحية أستبعد من مجال التكليف كل ما لا يمكن أن، يخضع خضوعًا مباشرًا أو غير

مباشر لقدرة الإنسان، ومن ناحية أخرى لم يكلف المسلم بمجموعة من الالتزامات لا فرار منها ولا إسلام إلا بها، ومن ثم عليه القيام بها وبصرف النظر عن مقدرته، بل حاول التشريع ترتيب هذه الالتزامات في أحكام ترتيبًا تنازليًا حسب درجة أهميتها وأولوية القيام بها: ما بين أمر واجب القيام به لا تأويل فيه، وأمر غير جازم فعله وهو المندوب، وما طلب المشرع الكف عنه طلبًا جازمًا وهو الأمر المحرم، وما طلب المشرع الكف عنه طلبًا غير جازم وهو الأمر المكروه، والأمر الذي خير المشرع المكلف فيه بين الترك أو، الفعل من غير ثواب أو عقاب وهو الأمر المباح.

ومن الملاحظ أن الدين الإسلامي وانطلاقًا من قاعدة **[لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا]** (البقرة: ٢٨٥) استهدف تخفيف الأحكام حتى ما نص منها بوجوبه على سبيل الجزم، فقد يطرأ من الظروف ما يجعل قيام المكلف بالحكم عملًا شاقًا بشكل يزيد على طاقته، وبالتالي تنتفي العلاقة المستهدف إيجادها بين عبء الحكم ومقدرة المكلف. وهذه الرخص إما أن تبيح الفعل وتنفي وصف الحرمة عنه، أو تمنع من التكليف به أو من العقاب عليه.

الإسلام والمساواة

تعتبر المساواة في الإسلام من أهم القواعد العامة الأساسية التي يقوم عليها الدين الحنيف، ويعتبر هذا المبدأ بالذات من أهم ما يجذب الأفريقيين لاتباع الدين الإسلامي الذي نص على المساواة المطلقة غير المشروطة بين البشر كبشر بصرف النظر عن الاختلافات الظاهرية، الأمر الذي من الطبيعي أن يجذب الأفريقيين الذين عانوا من الظلم التاريخي لعدم المساواة الذي ألحقه بهم الرجل الأوروبي الأبيض، خاصة نتيجة تجارة الرقيق.

والمساواة -كما وردت في الإسلام بصورتها المطلقة- لم ترد في أي دين

آخر بنفس التأكيد والوضوح، الأمر الذي لم ينكره حتى المبشرون الغربيون، وجذب أنظار الكتاب المسيحيين ورجال الكنيسة أنفسهم. والمبشرون لا يختلفون على أن هذه النقطة بالذات تعتبر من أهم مآثر الإسلام، وهم عادة لا يخفون رأيهم هذا.

وفي هذا المجال يوضح سير توماس أرنولد القول: "وقد أجاد شخص كان نفسه زنجيًا توضيح الطريقة التي تقدم بها كل من المسيحية والإسلام إلى الأفريقيين وذلك في العبارات الآتية: "بينما تنسب البعوث التبشيرية قيام قساوسة من الوطنيين إلى عصر غير معين، نجد الدعاة المسلمين ينفذون إلى قلب أفريقية، ويصلون في سهولة إلى الوثنيين، ويحولونهم إلى الإسلام. وبذلك أصبح الزنوج اليوم ينظرون إلى الإسلام على أنه دين السود، والمسيحية على أنها دين البيض ويرون أن المسيحية تدعو الزنجي إلى الخلاص، ولكنها تضعه في مكان منحط إلى حد أنه يقول في نفسه وقد استولى عليه القنوط: ليس لي نصيب ولا حظ في هذا الدين. أما الإسلام فإنه يدعو الناس إلى الخلاص ويقول له: "إن بلوغك أسمى الدرجات الممكنة إنما يتوقف عليك. ومن ثم أقبل الزنجي بدافع من الحماسة على هذا الدين بروحه وجسده".

وقد أكد الإسلام على المساواة بين الأفراد جميعًا باعتبارهم بشرًا، فمن ناحية حرص على تأكيدها بين الجنس البشري عمومًا، فقد ذكرت كلمته الناس ١٤٠ مرة في القرآن، وكلمة البشر في أكثر من ٣٥ آية، والمقصود من التكرار ترسيخ معنى الإنسانية العام ووحدة الجنس البشري في أذهان المسلمين. كما ركز في كثير من الآيات على المساواة في المولد وإرجاع الناس جميعًا إلى أصل واحد، وبالتركيز على وحدة الأطوار التي يمر بها الأفراد في خلقهم ونشأتهم ومراحل تكوينهم وفي أطوار الحياة وفي الموت

على الرغم من اختلافاتهم الظاهرية، كما ربط البشر برابطة الإنسانية والأخوة العالمية التي تتأكد بارتباطهم بخالق واحد. كما أوجد الإسلام معايير قياس الأفراد وقربهم من الله وهي التقوى والعمل الصالح.

فالإسلام مع أنه نظر نظرة موضوعية إلى وجود اختلافات بين الأفراد على أساس الجاه والمال: **[وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ]** (الزخرف: ٣٢). **[وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ]** (النحل: ٧١). وانقسامهم إلى شعوب وقبائل: **[وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ]** (الحجرات: ١٣). إلا أنه لم ينظر إلى هذه الاختلافات على أنها سبيل للتمايز والتفرقة والتفاخر، فالأفضل هو الأتقى، أي جعلت الأفضلية للتقوى، وهو معيار يرجع لجهد الشخص في مرضاة الله.

الإسلام والرق

على الرغم من أن الرق كان مؤسسة معترفًا بها حتى وقت قريب، ولم يتم بالفعل القضاء على تجارة الرقيق إلا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، إلا أن الإسلام قد أخذ موقفًا تقدميًا وعادلًا من موضوع الرق، الأمر الذي لم يعالج في أي دين أخر حيث أخذت العبودية على أنها قضية مسلم بها.

فقد استخدم التشريع الإسلامي سياسة من شقين لمقاومة الرق، وذلك عن طريق تضييق موارده، ومجالات الدخول فيه من ناحية، والعمل على تشجيع تحرير الرقاب من ناحية ثانية. فضلًا عن أن الإسلام في تأكيده على المساواة أعطى للرقيق حقوقًا تمشيًا مع آدميتهم، الأمر الذي أغفل من قبل وبذلك سعى لتحويل الرق من مصدر ربح -كما كان الحال قبل الإسلام- إلى تكلفة.

وحاول الإسلام أن يحد وإلى أكبر قدر ممكن من الحالات المؤدية للرق، فقصرها على حالة الحرب المشروعة بين المسلمين والكفار؛ حيث يسمح

قانون الحرب القائم على العرف السائد وقتذاك باسترقاق الأسـرى، أي إنـه حالة استثنائية أساسها المعاملة بالمثل ودفع الاعتداء. وحتى في هذه الحالة فقد حث على تحرير الرقاب إما بمبادلتهم بأسرى من المسلمين أو حتـى بـالمن عليهم بتركهم. فلإسلام في الوقت الذي فتح فيه منافذ الخروج من الرق سواء اختياريًا أو إجباريًا ضيق باب الدخول إليه مع النظرة الإنسانية للرقيـق فـي إطار من الأخوة العالمية.

والأفريقيين كثيرًا ما يرددون قصة بلال العبد الحبشي الذي حرره أبو بكر الصديق والذي اصطفاه الرسول ليكون المؤذن للصلاة والذي كان من أقـرب أصفياء الرسول. فالإسلام لم يحرره فقط بل رفع مكانته وأصبح رمزًا علـى مر التاريخ.

الخاتمـــــة

أوضحت الدراسة أن المسيحية رغم أنها دخلت أفريقيا فـي القـرن الأول الميلادي، إلا إنها ظلت أقل انتشارًا من الإسلام ومن الدين التقليدي. وعلـى الرغم من أنها تتضمن القلة المتعلمة إلا إنها ما زالت تمثل حركة أقليـة فـي معظم دول القارة. وجاء الانتشار الكبير والسريع لها في أفريقيا فـي القـرن الماضي في ظل الجهود التبشيرية –التي قامت بها الدول الغربيـة وأنفقـت عليها بسخاء– طمعًا في ثروات القارة وفي إطار الحظوة الاستعمارية.

وبرغم كل هذه الجهود ظلت المسيحية أقل انتشارًا في القارة من الإسـلام نتيجة لعدة عوامل ترجع إلى مضمون تعاليم المسيحية نفسها فـي مواجهـة المجتمع الأفريقي: من حيث صعوبة تفهم هذه التعـاليم بالنسـبة للأفريقـي العادي، وفصلها بين الأمور الدنيوية والأمور الروحيـة، وأحكـام الأحـوال الشخصية. وكان لهذه التعاليم أبلغ الأثر في عدم إقبـال الأفريقيـون علـى المسيحية، وإقبالهم على الإسلام في مقابل ذلك لبسـاطة تعاليمـه وواقعيـة

أحكامه، فضلًا عن الربط بين المسيحية والاستعمار.

ومن الجدير بالذكر أن الدين التقليدي لا زال سائدًا خاصة في مناطق البانتو في وسط وجنوب أفريقيا إلى حد كبير وهي المناطق التي لم تستقطبها أي من المسيحية أو الإسلام وإن كانت هناك جهود جادة منظمة من جانب الأولي، وتغلغل طبيعي زاحف من الشمال من جانب الإسلام. كما يلاحظ أن هناك بعض المحاولات لإحياء الدين التقليدي: ممن دخلوا في الإسلام والمسيحية على حد سواء. ومع أن البعض يرى أن الدين التقليدي الأفريقي يتلاشى، إلا إنه لا يزال يمارس بواسطة أفراد موجودين اليوم كدين لآبائهم وأجدادهم حيث يمثل بالنسبة لهم رابطة بين الماضي والحاضر وبين الحاضر والأبدي. وفي كل الأحوال هناك محاولة للحفاظ على الهوية الأفريقية.

وتجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن هناك قابلية للإسلام لعدة اعتبارات في ظل الدين التقليدي وتتمثل في التالي:

- أن المجتمعات التقليدية لم تعرف الفصل بين الأمور الدينية والزمنية أو الدنيوية. وبالتالي فهي تتفق في هذا مع أحد أسس الدولة في الإسلام، الذي يقوم على عدم الفصل بين الأمور الدينية والأمور الزمنية وحيث يعد الإسلام دينًا ودولة، كما تختلف تمامًا مع أهم أسس الفلسفة السياسية المسيحية التي تقوم على مبدأ ازدواج السلطتين.

- من أهم ما يميز ممارسة الدين الأفريقي أنه يعمل على أساس جماعي لا فردي سواء في تقبل المعتقدات في مجموعها أو في ممارسة شعائره واحتفالاته من قبل الجماعة. والدين الأفريقي جزء أساسي من طريقة حياة كل شعب في أفريقيا، وبما إنه ينتمي للشعب فإن أي عضو لا يستطيع أن يخرج كلية على دين جماعته أو شعبه أو يقف في وجهه. وحتى إذا دخل دينًا أخرًا يظل متمسكًا ببعض الأوجه المتوارثة فلا يهجر الثقافة كلية لأن في هذا

خروجًا تامًا وقطعًا لعلاقته بجماعته. وحيث لا تعارض بين الدين الذي انتمى إليه ودينه الأصلي فلا مشكلة حيث يحتفظ بالكثير من خلفيته الدينية والثقافية. أما إذا حدث تعارض فيظل الفرد في تجاذب بين جذوره وانتمائه الأصلي ودينه الجديد. فيعمد إلى التوليف كوسيلة لتحقيق التوازن أو إلى هجر الدين الجديد والارتداد إلى دينه الأصلي واختيار دين آخر أكثر مرونة في تقبل الممارسات وعدم التعارض.

- وكثيرًا ما تدخل الجماعة –بأكملها– ممثلة في العائلة أو حتى العشيرة في الدين السماوي بما أن النشاط الديني يمارس تقليديًا على أساس جماعي لا فردي. وكثيرًا ما ينقل أفرادها بعض أبعاد معتقداتهم التقليدية للدين الجديد. وبالتالي فكثيرًا ما تدخل القبيلة بأكملها في الإسلام بالذات على خلاف المسيحية التي تعني بتمسيح وتغيير قلب الفرد منفردًا حيث تعمل على أساس فردي لا جماعي.

- ومن الملاحظ أن الأفريقيين عادة ما ينجذبون حتى قبل دخول الإسلام إلى ممارسات الجماعات الصوفية في أفريقيا التي تكثر من حلقات الذكر والإنشاد التي تشد انتباه الأفريقي كشكل جماعي لممارسة بعض الشعائر الدينية كما يتفهمها الأفريقيون.

- ودخول الفرد في دين سماوي لا يعني استبعاده من الجماعة أو طرده من القبيلة، فلم تعرف المجتمعات التقليدية التعصب الديني.

- والأفريقيين مغرمون بالموسيقى والرقص، ويستخدمونهما في كافة أنشطة الحياة وهما موجودان في كل جماعة في أفريقيا. لذا من الطبيعي أن يستخدما في الطقوس الدينية في أفريقيا وكثيرًا ما يعبر الأفريقيون عن انطباعاتهم الدينية بالرقص؛ الأمر الذي يعتبره المبشرون المسيحيون من سمات الوثنية.

• وواحد من ركائز المعتقدات الدينية الأفريقية هو السحر: الأمر الــذي وإن كان قد أسئ فهمه إلا إنه لا يخرج عن كونه محاولة للسيطرة على القوى الطبيعية والاستزادة من الخير وأبعاد الضرر عن النفس. وحيث أن الســحر مذكور في القرآن فكثيرًا ما يلجأ الأفريقي إلى المشــايخ أو المرابــو لكتابــة الأحجبة وغيرها، للسيطرة على القوى الغيبية تمشيًا مع المفــاهيم التقليديــة، ومحاولة الوقاية من السحر أو فكه. ومن الجدير بالذكر في هــذا المجــال أن الإسلام وإن اعترف بوجود السحر وورد في القرآن لفظ الســحر ومشــتقاته اثنان وستون مرة في اثنين وخمسين آية، إلا أن الإسلام قد وقف موقفًا حازمًا وواضحًا ضد السحر بحيث أكد على أنه من أعمال الشيطان: قال الله تعالى: "وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون النــاس الســحر". ولا يفلــح القائمون به: "إنما صنعوا كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث أتى". بل الاستعاذة منهم على أنهم شر ويأتون الشر: "قل أعود برب الفلق من شر ما خلق ومــن شر غاثق إذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد إذا حســد"(١٠). كما أكد الرسول على ضرورة اجتناب الســحر علــى أنــه مــن الموبقــات (المهلكات): عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي أنه قال: "اجتنبوا السبع موبقات." قالوا: يا رسول الله وما هي؟ قال: الشرك بـــالله، والســـحر، وقتــل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتــولي يــوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات". ومن الواضح مما سبق مدى التغليظ في تحريم السحر وضرورة اجتنابه من أنه ذكر في قول الرسول بعد أكبر الكبائر وهو الشرك بالله وقبل قتل النفس التي حرمها الله.

• كما أن جوهر الدين الأفريقي من حيث الإيمان بوجود خــالق أعظــم بصفاته وخصائصه المعتقد فيها، يتقارب مع جوهر الإسلام: ديــن الفطــرة. فالوحدانية الصريحة أو الضمنية هي في مركز الدين الأفريقي ممــا يجعــل

مفهوم الوحدانية في الإسلام أقرب إلى الفهم والعقل ومن ثم التقبل.

وتبدو أهمية هذه الاعتبارات في أن الدين التقليدي هو دين الفطرة الذي يجعل تعاليم الإسلام أقرب إلى تفهم الأفريقي لها، مما أسهم مع غيره من العوامل في الانجذاب للدخول في الإسلام. وهو ما يؤدي إلى الزيادة المطردة في أعداد المسلمين في القارة بالمقارنة بأعداد المسيحيين. ومن هنا يمكن القول بأن القرن العشرين هو قرن الإسلام في أفريقيا.

فعلى الرغم من أن الدول الاستعمارية التي تقاسمت القارة الأفريقية لم يستقر لها قوام إلا بعد أن قضت على الزعمات السياسية الإسلامية والدول والمماليك التي قامت على أساس من تلك الزعامات والمرجعية الإسلامية، إلا أنها لم تستطع على الرغم من كل الجهود التبشيرية ودعم النظم الاستعمارية الغربية لها أن تقضي على الإسلام أو تقف في وجه انتشاره السريع خلال القرن العشرين.

فلم ينته القرن العشرون إلا وأصبحت هناك دول تدخل صفة الإسلام ضمن اسمها وهي جمهورية موريتانيا الإسلامية وجمهورية جزر القمر الإسلامية، مع العديد من الدول ليس فقط في شمال القارة بل جنوب الصحراء -ومن ذلك مثلًا السنغال وتشاد ومالي وغيرها- ممن تعتبر الإسلام الدين الرسمي للدولة، في الوقت الذي لا توجد به أية دولة أفريقية تعتبر المسيحية الدين الرسمي لها حتى إثيوبيا التي كانت الوحيدة في هذا الصدد تم إلغاء هذا النص رسميًا في دستورها الأخير قبل رحيل القرن، مع التسليم بأن المسلمين يمثلون الأكثرية بها. كما أن دول المؤتمر الإسلامي هي دول أفريقية. كما بدأ تطبيق الشريعة يأخذ طريقه إلى القارة، وإذا كانت السودان قد بدأته عام ١٩٨٣ فإن نيجيريا قامت بتطبيقه في ولايتها الشمالية وانتقل منها لجاراتها من الولايات.

فعلى الرغم من كل الصعوبات والمعوقات إلا أن الإسلام الذي وجد طريقه بقوة للقارة الأفريقية يبدو من المؤشرات المختلفة أنه سيمثل دين المستقبل فيها.

الهوامش:

(١) تجدر الإشارة إلى أن النسبة المئوية للمسلمين في أفريقيا هي ٥١,٧%، وأن عدد المسلمين ٢٤١,٤٥٤,٠٠٠ من مجموع سكان أفريقيا البالغ ٤٦٦,٩٧٨,٥٠٠.

(٢) وتعد اليهودية محدودة في أفريقيا من حيث العدد، وهي ليست دين دعوة عالمية ولا تقوم على الدعوة العالمية والتبشير للدخول بها.

(٣) يلاحظ أن نسبة الـ ٨٩% الباقية لم تعرف تأثيرات مسيحية بالمرة وإن معظم الجماهير مسيحيون بالاسم.

(٤) من أهم الظواهر الجديرة بالدراسة عن المسيحية في أفريقيا هو تبلور الحركات الدينية التي أصبحت مستقلة عن أي كنيسة مسيحية أجنبية –عالمية– وهي تمثل فرقًا أو طوائف دينية مسيحية متميزة. فكلمة كنيسة لا يقصد بها مجرد مكان للعبادة ولكنها تعني مذهب أو طائفة. وتمثل هذه الظاهرة محاولات أفرقة المسيحية، ويطلق عليها مسميات مختلفة مثل "الكنائس الانفصالية" أو "الحركات الانشقاقية" أو الكنائس الإثيوبية" أو "الكنائس المتمردة" أو "الكنائس الصهيونية". ولكن أكثر الأوصاف دقة هو الذي يعبر عنها بالاستقلالية وهو الذي أصبح أكثر انتشارًا وأكثر تقبلًا من جانب الدارسين ومن جانب الأفريقيين أنفسهم.

(٥) وهو Jacobus Capiteir الذي كان تابعًا لسيد هولندي أرسله للدراسة في جامعة لايدن بهولندا حيث تخرج عام ١٧٤٢.

(٦) من خطابه الوداعي قبل سفره كقنصل لبريطانيا. وكان لفنجستون تابعًا لجمعية لندن المرسلية (١٨٣١– ١٨٥٧) وقد اخترق أفريقيا من الغرب إلى الشرق بجوار نهر الزمبيزي ثم عاد لبريطانيا ليروي ما رآه.

(٧) وهذه الأسرار السبع هي: سر المعمودية، سر الميرون "المسحة المقدسة"، سر الافخارستيا (سر الشكر أو العشاء الرباني)، سر التوبة، سر مسحة المرضى (أو سر الزيت المقدس)، سر الزيجة، وسر الكهنوت (سر الدرجة أو الشرطونية).

(٨) متفق عليه.

(٩) في هذا المجال يلاحظ أن البربر قد ارتدوا عن الإسلام وعادوا إليه وفقًا لما ذكره ابن خلدون اثنى عشر مرة قبل أن يترسخ إسلامهم

(١٠) والنفاثات في العقد يقصد بها: "السواحر التي تنفث (في العقد) التي تعقدها في الخيط تنفخ فيها بشيء تقوله من غير ريق.

من أهم المصادر:

أولًا: باللغة العربية

١. آدم عبد الله الألوري، **الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني**، الطبعة الثانية، د.م.ن.، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م.

٢. آدم عبد الله الألوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥م.

٣. الإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي، **رياض الصالحين**، عمان الأردن: المكتبة الإسلامية، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

٤. **إنجيل متى**.

٥. أحمد محمد كاني، **الجهاد الإسلامي في غرب أفريقيا**، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٧م.

٦. البابا شنودة الثالث، **شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية**، الطبعة الثانية، القاهرة: الكلية الإكليريكية للأقباط الأرثوذوكس، ١٩٧٨.

٧. بول شفارتزيناو، **دروس قرآنية للمسيحيين: مداخل إلى كتاب المسلمين المقدس**، ترجمة السيد محمد الشاهد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١م.

٨. **تفسير الجلالين**، قرآن كريم بتفسير الإمامين الجليلين العلامة جلال الدين المحلي، والشيخ جلال الدين السيوطي، القاهرة، شركة الشمرلي، ١٣٧٣هـ.

٩. جاك مندلسون، **الرب، الله وجوجو**. القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ١٩٦٨م.

١٠. جمال حمدان، **العالم الإسلامي المعاصر**، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧١م.

١١. حبيب جرجس، "مدير الكلية الاكليريكية للأقباط الارثوذكس سابقًا"، **أسرار الكنيسة السبعة**، الطبعة الخامسة، القاهرة، مكتبة المحبة، ١٩٧٩م.

١٢. حسن إبراهيم حسن، **انتشار الإسلام في القارة الأفريقية**، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٦٤م.

١٣. حسن كامل الملطاوي، **الصوفية في إلهامها**، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، جزئين، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

١٤. حورية توفيق مجاهد، **الاستعمار كظاهرة عالمية: حول الاستعمار، والإمبريالية والتبعية**، القاهرة: عالم الكتب، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٥م.

١٥. **رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية**، الإصحاح الرابع.

١٦. **سورة البقرة**.

١٧. **سورة الحجرات**.

١٨.**سورة الزخرف.**

١٩.**سورة الفلق.**

٢٠.**سورة النحل.**

٢١.**سورة طه**

٢٢.**سورة غافر.**

٢٣.سيد عبد المجيد بكر، **الأقليات المسلمة في أفريقيا**، دعوة الحق، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، الجزء الثاني، د.ت.

٢٤.سير توماس أرنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة حسن إبراهيم حسن، وعبد المجيد عابدين، وإسماعيل محمود النحراوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧م.

٢٥.عبد الله عبد الرازق إبراهيم، **المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا**، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، رقم ١٣٩، ١٩٨٩م.

٢٦.علي مزروعي، **قضايا فكرية: أفريقية والإسلام والغرب**، ترجمة صبحي قنصوة وآخرين، سلسلة دراسات أفريقية، القاهرة: مركز دراسات المستقبل الأفريقي، ١٩٩٨م.

٢٧.عمر سالم عمر بابكور ، **الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا**، رسالة دكتوراه، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٧هـ.

٢٨.**الفكر الصوفي: في ضوء الكتاب والسنة**، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار الحرمين للطباعة، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩م.

٢٩.محمد البهي، **الإسلام والرق**، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٧٩م.

٣٠.محمد المبارك، "**الحج والتوعية الإسلامية**"، **استراتيجية العالم الإسلامي**، وزارة الحج والأوقاف، المملكة العربية السعودية، ذو الحجة ١٣٩١هـ / يناير ١٩٧٢م.

٣١.محمد سيد طنطاوي، **الفقه الميسر**، الجزء الثاني، القاهرة: مكتبة الشروق، ٢٠٠٠م.

٣٢.محمد عبد الغني الأشقر، **تجار التوابل في مصر: في العصر المملوكي**، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ١٣٧، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

٣٣.محمد عزت إسماعيل الطهطاوي، **النصرانية والإسلام: عالمية الإسلام ودوامه إلى قيام الساعة**، القاهرة، دار الأنصار، ١٩٧٧م.

٣٤.محمود شلتوت، **الإسلام عقيدة وشريعة**، القاهرة: مكتبة الشروق، ١٩٩٧م.

٣٥.نظمي لوقا، **أنا والإسلام**، القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٧٧م.

٣٦.يوسف القرضاوي، **مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية**، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٠م.

ثانيًا: باللغة الانجليزية

1. **African Encyclopedia**, London: Oxford University Press, 1974.

2. Allan, J. D. (commentary), **The Evangelicals: An Illustrated History,** Exter, U.K: Paternoster Press, 1989.

3. Dammann, **Les Religions de L´Afrique**, Paris: Payot, 1978.

4. Fall, Mar, **Orientation de la Recherche sur L´Islam en Afrique Noire (1979 - 1982)**, Travaux et Documents No. 10, Universite de Bordeaux I, Centre d´Etude d´Afrique Noire, Institut d´Etudes Politiques de Bordeaux, 1986.

5. Ferkiss, Victo C., **Africa´s Search for Identity**, New York: Brazillr, 1966.

6. Gaudeul, Jean- Marie, **Christian and Islamic Contributions towards Establishing Independent States in Africa South of the Sahara: Catholic Christianity in Sub - Saharan Africa in a Region Strongly Influenced by Islam**, Paris: Presence Africaine, 1973.

7. Hebga, Meinard P., Emancipation d´Eglises sous Tutelle: Essai sur l´Ere Post- Missionaire, **Collection Culture et Religion**, Paris: Presence Africaine, 1976.

8. Hodjkin, Thomas, **Nationalism in Colonial Africa**, London: Oxford University Press, 1958.

9. Holas, B., **Le Separatisme Religieux en Afrique Noire**, Paris: P.U.F., 1965.

10. Idowu, Bolaji, **African Traditional Religion: A Definition**, London: SCM Press Ltd., 1977.

11. L´Islam et le Christianisme en Afrique d´après un Africain, **Journal des Missions Evangiliques**, 63eme annee, Paris, 1988.

12. Lewis, I. M. (ed.), **Islam in Tropical Africa,** 2nd edition, Bloomington & London: International African Institute & Judiowa University Press, 1980.

13. Ma Mpolo**,** Masamba, **Community & Cure: The Therapeutics of the Traditional Religions & The Religion of the Prophets in Africa,** London: Europa Publications, 1976.

14. Monteil, Vincent, **L´Islam Noir,** 3rd ed., Paris, Le Seuil, 1981.

15. Nimtz, August H. Jr., **Islam and Politics in East Africa,** New York, Braziller, 1968.

16. Okullu, Henry, **The Contribution of African Christian Churches to the Independence of African States,** London: Oxford Uni. Press, 1970.

17. Parrinder, Geoffery, **The Religions of Africa in Africa South of The Sahara**, London: Europa Publications, 1975.

18. Peel, D. Y. & Charles C. Stuart (eds.), **Popular Islam: South of the Sahara,** London: Oxford Uni. Press, 1975.

19. Radin, Paul, **Monotheism among Primitive Peoples,** London: Allen & Unwin,1924.

20. Smith, Edwin W., **Knowing The African**, London: Lutterworth Press, 1946.

21. Trimingham, Spencer, **A History of Islam in West Africa**, London: Oxford Uni. Press, 1962.

22. Tshishiku, Tshibangu, **Acceptance & Change of Christianity or the Impact of Christianity in Africa,** London: Europa Publications, 1980.